

## سيكولوجيا النهب من منظور علمي

تعقيب على سيكولوجيا الفرهود بين بغداد و طرابلس

[www.arabpsynet.com/documents/DocSudadPsyLooting.pdf](http://www.arabpsynet.com/documents/DocSudadPsyLooting.pdf)

د. سداد جواد التميمي \*

استشاري أمراض النفس - كاردف. المملكة المتحدة

[sudad.jawad@btinternet.com](mailto:sudad.jawad@btinternet.com)



في بادئ الأمر أتوجه بالشكر للأستاذ قاسم حسين صالح على مقالته الشيقة حول سيكولوجية الفرهود بين بغداد و طرابلس:

( [www.arabpsynet.com/documents/DocQassimPsyLooting.pdf](http://www.arabpsynet.com/documents/DocQassimPsyLooting.pdf) )

الفقرتان الخمسة و السادسة من المقال توضح بصورة ذكية و دافئة الارتباط المضطرب للفرد العربي بوطنه نتيجة الكبت، غياب حرية التعبير، و انعدام الفرصة لتطور اجتماعي عادلو مستمر. و لكن هناك بعض الفقرات في المقال تستحق النقاش.

### ارتباط ألفرد بالوطن

أن ارتباط الفرد بوطنه أو بأرضه يمكن إن يبدأ الحديث عنه من خلال دراسة رواية ألدكتور زيفاكو لباسترناك. عندما تم نشر هذه الرواية في الغرب أنهمك الإعلام و الناس بالحديث عن انتهاك حقوق الإنسان من قبل الشيوعية و أكرملين و غضوا النظر عن هدف الرواية الذي يتمثل في ارتباط بطل الرواية بوطنه و مدينته موسكو مفضلاً البقاء فيها بعيداً عن عائلته و عشيقته. صور المخرج ديفيد دين هذا الارتباط في مطلع الفلم و نهايته ولكن الإعلام انتبه للجانب السياسي للقصة فقط.

لا شك إن هذا الحب للأرض نادر في عالمنا هذا. خضع مفهوم الوطنية و الارتباط بالأرض لعدة تطورات على مدى القرون الثلاث الماضية، و يمكن التعمق فيه من خلال دراسة تاريخ أوربا الحديث من منتصف الألفية الثانية و إلى يومنا هذا. ترى تعبير الوطنية يتراوح من مثالية مطلقة إلى حد وصفه من سمات الأوغاد. أن ارتباط ألفرد العربي بأرضه لا يختلف تماماً عن ارتباط إي فرد في أنحاء المعمورة، و لا بأس إن يكون نواة لدراسة علمية توضح هذا الجانب من سيكولوجية الفرد العربي. أن مفهوم الوطنية القومية في العالم العربي في صراع دائم مع البعد الديني الإسلامي الذي يؤكد دوماً على الارتباط الروحي ثم الفكري بين الأفراد تحت مفهوم الإيمان.

### سلوك النهب (الفرهود) اجتماعياً

يرتبط تعبير "الفرهود" بنهب ممتلكات أهل بغداد لعراقيين يهود في الأربعينيات كانوا يشكلون يوماً ما 25 % من سكان بغداد اعتماداً على وثائق حكومية عثمانية. كان هذا العمل الإجرامي وصمة عار في جبين المجتمع العراقي ولا أذكر عراقياً تكلم عنه إلا و صاحب كلامه الخجل و الغضب من مرتكبي هذا الفعل الذي تم بتحريض من حلفاء

المحور العسكريين أيامها. لا يزال لهذا الحدث تاريخه و تطرقت إليه صحيفة الجروسيلا بوست هذا العام بصورة علمية تحليلية.

أن عملية السلب و النهب لا تقتصر على المجتمع العراقي أيام الغزو الأمريكي عام 2003. لم تخلو شاشات الإعلام الغربي و العربي من عرض صور نهب بعد سقوط باب العزيزية. كذلك الأمر في مصر أثناء ثورة 2011 بعد غياب أجهزة الأمن من شوارع القاهرة حتى أضطر الجيش المصري لحماية ممتلكات المتحف المصري، و رغم ذلك لم يسلم من اللصوص.

بعيداً عن الثورات فان عمليات النهب شائعة أيام الكوارث الطبيعية والبشرية في مختلف أنحاء العالم و حدثت في أمريكا الشمالية، أمريكا اللاتينية و الجنوبية، آسيا، و أفريقيا.

كذلك الأمر في غياب الكوارث و الثورات فان أعمال النهب قد تحدث أثناء إي اضطراب اجتماعي و كان ذلك في غاية الوضوح في فرنسا قبل عدة أعوام و في سائر المدن البريطانية في آب هذا العام جراء اتهام عصابة بقتل أحد أعضائها ظلماً مما أشعل فتيرة الجريمة ليقوم بها أفراد لا شان لهم و لا علم بما حدث.

### خصوصية المجتمع العراقي

أن التركيبة الاجتماعية للمجتمع العراقي و تاريخه السياسي يختلف تماماً عن بقية الدول العربية من زاوية التعددية الدينية، الاستقطاب المذهبي الاسلامي، و التعددية العرقية. أدرك المنتدب البريطاني هذا التعقيد السكاني، و حاول إدارة العراق بالتركيز على الانتساب القبلي و العشائري و الذي بدوره يتعارض مع المفاهيم الحضارية الحديثة التي شاعت بعد نهاية الحرب العالمية الاولى.

بعد عام 1958 حاول عبد الكريم قاسم، عفويّاً او غير عفويّاً، جمع المجتمع العراقي و التركيز على انتسابهم للعراق تاركاً جانباً الانتساب القبلي و العشائري. ساعد قاسم في ذلك بان والده كان عربياً سنياً و والدته كردية شيعية، غير انه كان يفتقد الى قاعدة فكرية واضحة و كان ارتباطه بالحزب الشيوعي و أفكاره مضطرب و غير واضح.

بعد عام 1963 كان التوجه عربياً حتى منتصف السبعينيات حين أدرك رجال السلطة بان توحيد العراق تحت الراية العربية غير ممكن، و ظهر التوجه نحو التركيز على الهوية العراقية التاريخية من اجل جمع الصف العراقي. لم تكن هذه الجهود فاشلة، و ساعد نجاحها النهضة الاقتصادية و النفطية للعراق.

مع حلول الثمانينيات دخل العراق حروب الخليج و بدأت عملية التدمير الاقتصادي، ألاجتماعي، و الاشد من ذلك النفسي المعروفة لجميع السكان في أنحاء العالم. عاد صدام حسين بعد المقاطعة الاقتصادية الى اللجوء الى اللعبة القبلية و العشائرية للسيطرة على البلاد و نجح الى حد كبير في المسك بزمام الامور لأكثر من عقد من الزمان وبالتالي لم يكن هناك مفر من غزو العراق من قبل أقوى جيش في العالم للتخلص منه.

أن الهوية القبلية العشائرية، و التي تتميز بتمسكها بمفاهيم بدوية تحبذ العنف، ربما تفسر كثرة اعمال النهب الجماعي خلال تاريخ العراق الأكثر دموية من غيره في بلدان الشرق الاوسط. أن هذه القيم البدوية ذاتها تفسر دموية المذابح و الغزوات الوهابية لعدة مناطق عربية و على رأسها العراق في القرن التاسع عشر، و كذلك الأمر في تاريخ الخوارج في قديم الزمان.

### التفسير العلمي للنهب

أن السلب و النهب هو سلوك مضادي للمجتمع في أطاره، و نسبته ثابتة الى حد ما في جميع المجتمعات البشرية، ولكن محتوى هذا السلوك و التعبير عنه شديد الاختلاف بين مجتمع و آخر اعتمادا على النظام الاجتماعي، الرفاهية الاقتصادية، و الثقافة التعليمية.

يمكن دراسة هذا الموضوع من استعمال نموذج تشريحي فسيولوجي للدماغ البشري. في أي وقت من حياة الانسان هنالك فعاليتان في تفاعل مستمر:

1 التنظيم العاطفي والذي يتم في الجهاز الحوفي.

2 التنظيم الاداري والذي يتم في القشرة المخية، و بالذات ذلك الفص الامامي من المخ و الذي تقدر مساحته بثلاث القشرة المخية.

أن الفعاليات الادارية و تنظيمها لأي انسان تعتمد على عتبة أزاله التثبيط و التي تختلف من أنسان و آخر كما يختلف البشر في اختلاف الوزن و الطول و ضغط الدم. رغم ان هذه العتبة يتم وراثتها عن طريق الوالدين غير انها تخضع لعوامل بيئية متعددة منذ لحظة ولادة الانسان مثل التغذية، التربية العائلية و الصحة البدنية. متى كانت هذه العتبة عالية يكون الفرد اكثر توازناً، اكثر تركيزاً، أقل تهوراً، و أكثر أبداعاً. أما إذا كانت هذه العتبة واطئة فان سلوك الانسان يكون على العكس تماماً.

أن عتبة أزاله التثبيط تخضع كذلك لتأثيرات التنظيم العاطفي جزئياً و ليس كلياً بالمرّة. بلا شك ان العواطف السلبية تؤدي الى هبوط عتبة ازالة التثبيط على عكس العواطف الايجابية التي تؤدي في أغلب الأحيان الى ارتفاع العتبة.

على ضوء ذلك يمكن الجزم بان الذين يرتكبون أعمال النهب في بادئ الامر هم أ افراد يتميزون بعتبة ازالة التثبيط الواطئة و بالتالي يمارسون سلوك مضاد للمجتمع و إجرامي. اعتمادا على الظروف المتاحة لهم، تراهم يمارسون الفرهود و النهب العلني أيام الاضطرابات الاجتماعية، سرقة الناس أيام السلم، و ينهمكون بأعمال عنف عائلية، و غير ذلك من التصرفات الغير انسانية.

### استنتاجات عامة

1 أن أعمال النهب هي جزء من السلوك المضاد للمجتمع في أي مكان و زمان.

- 2 أن السلوك المضاد للمجتمع يخضع الى درجة عتبة أزاله التثبيط. ان درجة هذه العتبة، رغم كونه وراثياً، و لكنه يتأثر بعوامل بيئية متعددة و في مختلف مراحل الحياة
- 3 من العوامل البيئية التي يتميز بها المجتمع العراقي خضوعه لنظام قبلي و عشائري في غاية التعقيد شجعه المنتدب البريطاني في بداية القرن العشرين وعاد إليه صدام حسين في نهايته. الغاية كانت واحدة و هي المسك بزمام الأمور.
- 4 ان الانتساب العشائري القبلي يتعارض مع القيم الحضارية الحديثة، و يحمل في طياته نواة عدائية مضادة للبشر الذين ينتسبون لقبيلة أخرى الى درجة اباحة ممتلكاتهم.
- 5 يتعارض الانتساب القبلي مع القيم الديمقراطية و يشكلعائقا في قيام حضارة مدنية في العصر الحديث.

• استشاري الصحة النفسية - ويلز.  
MB ChB MD FRCP FRCPsych  
[sudad.jawad@btinternet.com](mailto:sudad.jawad@btinternet.com)

\*\*\* \*\*

**Arabpsynet**

[www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

**Arabic Edition**

<http://www.arabpsynet.com/defaultAr.ASP>

English Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultEng.ASP>

French Edition

<http://www.arabpsynet.com/defaultFr.ASP>

**Subscribe To APN**

<http://www.arabpsynet.com/Subs.asp>

**Subscribe to APN Protected Links**

SEND YOUR

Scientific CV

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

**Subscribe to APN Editions**

( APN Book, APN Journal, e.Psydict )

SEND YOUR

Scientific CV

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

\*\*\* \*\*

**Search Papers**

<http://www.arabpsynet.com/paper/default.asp>

**Papers Form**

[www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm](http://www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm)

**Search Books**

<http://www.arabpsynet.com/book/default.asp>

**Books Form**

[www.arabpsynet.com/book/booForm.htm](http://www.arabpsynet.com/book/booForm.htm)

**Search Thesis**

<http://www.arabpsynet.com/These/default.asp>

**Thesis Form**

[www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm](http://www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm)